حول التنويم المغناطيسى (*)

للاســـتاذ أحمد فؤاد الأهوانى

١ — يذكر التنويم المغناطيسى محاطاً بالغموض والإبهام. فهل هو علم ثابت الأساس، أم شعوذة وإيهام؟ وما مدى اتصاله بعلم النفس.

٢ — هل هناك من خطر فى تعلمه، وإن كان هناك خطر فما هو؟ وهل يتعارض والدين؟

٣ — ألا ترى أنه يعصف باليقين بنتائجه الخارقة الدهشة؟

(ج . ع . م)

كرسى السودان

التنويم المغناطيسى ظاهرة طبيعية لا تعد من الخوارق، فهى كالنوم الطبيعى، إلا أن النوم المألوف يحدث من الإنسان لنفسه والمغناطيسى يحدث بتأثير شخص آخر. ويسمى النائم فى عرفهم «الوسيط» إذا كان متصلا بالنوم اتصال تجارب وعمل. ويتم النوم المغناطيسى بشروط، الشرط الأول قابلية الشخص أو الوسيط للنوم، إذ ليس كل شخص قابلا للنوم المغناطيسى. ومما يذكر فى هذا الصدد أن المشتغلين بالتحليل النفسانى ونعنى بهم فرويد ومدرسة شاركو فى فرنسا بدأوا حياتهم الطبية فى العلاج بطريقة التنويم المغناطيسى، ولكنهم عدلوا عنها لأسباب منها أنه ليس جميع المرضى يخضعون للنوم، ومنها عدم جدوى هذه الطريقة

وهناك بعض الناس يسهل تنويمهم وخضوعهم، وهؤلاء يكونون خير وسطاء.

وأول من اهتدى إلى التنويم المغناطيسى هو العالم «مسمر» وكانت تسمى طريقته بالمسمرزم Mesmerism نسبة إليه. واشتهر أمره فى القرن الثامن عشر، واختلف الناس فى أمره، وافتتنوا بأعماله، فكلفت الحكومة الفرنسية العالم الكيمائى لافوازييه أن يبحث هذه الظاهرة العجيبة فى ضوء العلم. واستمر انتشار الناس والعلماء بهذا الفن حول قرن من الزمان حتى أصبح مألوفاً وعرفوا أنه لا يثمر نتيجة فى العلاج من الأمراض العصبية، فانصرفوا عنه فى أواخر القرن الماضى كما ذكرنا، وأخذوا بطريقة التحليل النفسانى.

والشرط الثانى استعداد النوم وقوة تأثيره، وهذا الاستعداد منه طبيعى موهوب، ومنه صناعى مكسوب: ويكسب المرء قوة التأثير بتدريب نفسه فى إلقاء الصوت النافذ الذى يشبه الأمر الصارم، وفى حدة النظر، وحسن الهندام، وبالجملة اكتمال الشخصية فى جميع نواحيها بحيث تصبح قوية، فما لا يتسع المجال لتفصيله ...

والشرط الثالث المعرفة بالأساليب الصناعية فى التنويم، كالجلسة الخاصة، والوقفة المناسبة، وتوجيه النظر بالعين أو بالكرة المغناطيسية، وإحداث السحابات المغناطيسية وهى المرور باليدين من أعلى إلى أسفل بالقرب من جسم الوسيط مبتدئا برأسه.

واعلم أن التنويم المغناطيسى يحدث حولنا دون أن ننتبه إليه ودون أن يعرف المنومون والمنومون ماذا يجرى منهم. فالأم تهدهد طفلها، وتربت على جسمه بيديها، وتغنى له وتأمره بعد ذلك بالنوم فينام. وكثيراً ما تلاطف قطة فى دارك، فتهدأ، وتغمض عينيها، وتخضع لك مادمت تمر بيدك على جسمها. ولهذا كان من الجائز وليس من الغريب تنويم الحيوان. وقد رأيت فى السينما ذات مرة شخصا ينوم دجاجة بأن يجمعها على الأرض ويخط أمام منقارها خطا مستقيما فإذا بها تذهب فى النوم.

وللنوم درجات أعلاها التخشب

وهم يدربون الوسطاء على قراءة الفكر وهى ظاهرة مألوفة معروفة، فينقل النوم ما يريد من أسئلة إلى الوسيط كما ينقل إليه الإجابة أيضا. وهؤلاء هم طائفة المشعوذين الذين يوهمون المتفرجين أن فى مقدرة الوسيط أن تسبح روحه فى عالم الغيب فيطلع على المستقبل المحجوب ويعرف أسرار الناس وما تخفى الصدور. وهذا كله وهم وخداع، إذ ليس فى قدرة الوسيط أن يعلم إلا ما يعلمه له النوم وينقله إليه.

أما النظرية القائلة بأن التأثير الحادث فى التنويم المغناطيسى يرجع إلى اتصال الروح بالروح، فهى نظرية لم يقم عليها دليل ثابت أو برهان قوى يرغم على الاعتقاد به، أما النظريات التى يأخذ بها العلماء المتشبثون إلى أن يظهر ما يبطلها أو يكون أقرب

(*) وجه إلينا هذا الأستاذ الكريم الأسئلة المرقومة فى عدد الرسالة ٧٢٣

منها إلى التفسيرات العلمية ، فهي أولا صدور « سيال » Fluid مغناطيسي بين المنوم والمنوم ، ولم يصلوا إلى كنه هذا السيال ولهذا عدل عن الأخذ بهذا التفسير جمهرة العلماء . ونظرية ثانية حديثة تشبه المخ البشري كأنه « بطارية » كهربائية ، أو كجهاز الارسال والاستقبال مثل المذياع ، فكأن ما يحدث بين المنوم والوسيط هو تبادل الرسائل على أمواج الأثير . وأنا شخصيا أميل إلى الأخذ بهذا التفسير .

ولا نزاع في أن فن التنويم فيه عنصر مادي وآخر معنوي . فالعنصر المادي هو ذلك الذي بسطناه من قبل كالنظرات والسحابات ...

وأستطيع أن أشبه جسم الانسان بزجاجة ، وما فيه من لحم وعظم ودم ببرادة الحديد . فإذا مر قضيب المغناطيس بهذه البرادة انتظمت في داخل الزجاجة وتأثير بالجاذبية . كذلك جسم الإنسان يتأثر بالتيارات المغناطيسية التي يوجهها المنوم توجيها صناعيا فتنتظم ذرات جسمه . ويقال في هذا الباب إن المرء إذا أراد أن يكسب جسمه قوة مغناطيسية فعليه أن ينام ويجعل رأسه إلى الشمال ورجليه إلى الجنوب ، والشمال كما نعلم هو القطب المغناطيسي للأرض ..

وليس في تعلم التنويم أي خطر ، وإنما الأولى أن نسأل ما هي الثمرة التي نجنيها من تعلمه ، وهل تستحق أن ينفق فيها المرء الجهد والزمن ؟ ونقول إن للتنويم ثمرتين ، الأولى في العلاج من الأمراض العصبية ، والثانية في معرفة المستقبل . وقد ثبتت عدم جدوى التنويم في العلاج كما ذكرنا ، ولم يثبت أن الوسطاء يعلمون الغيب . وقد نشط العلماء خلال الحرب الأخيرة يجربون تجارب حديثة تختص بفوائد التنويم ، منها الاستغناء في العمليات الجراحية عن التخدير بالمقاقير ، والاستفادة من التنويم المغناطيسي وما يحدثه من تأثير . ولا تزال هذه التجارب في البحث .

الخلاصة أن التنويم المغناطيسي علم وفن ، له أعظم الصلة بعلم النفس بل هو فرع منه ، وهو على التحقيق فصل من باب الايحاء ؛ فإذا كان العلم بالنفس يتعارض مع الدين ، فالتنويم المغناطيسي يتعارض بطبيعة الحال . غير أنه لا وجه للتعارض بين علم النفس والدين ، بل العلم بها مطلوب للوصول إلى اليقين ، وفي ذلك قال تعالى «وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون» .

ويمكن أن ننقل القضية إلى ميدان أوسع فنقول : هل يتعارض العلم إطلاقا مع الدين ؟ وهذا بحث شغل أذهان الباحثين خلال القرن التاسع عشر ، ثم خفت حدة الخلاف وتم الوفاق أخيراً بين العلم والدين . وهذه النزعة التي نشاهدها الآن في أوربا وأمريكا حيث يسود العلم تبين لنا اتجاه الناس نحو الدين بعد موجة الإلحاد والزندقة .

ومع ذلك يقول بعض العلماء إن التقدم في علم النفس ، وبخاصة في أحد فروعه وهو التحليل النفساني ، من الأسباب القوية التي تصرف الناس عن الإيمان ، لأن هذا العلم يستند إلى المبدأ القائل بالحتمية النفسية psychologique determinisme ، أي اتصال سلوك الفرد بأسباب محتومة تستقر في نفسه منذ الصغر وبحكم البيئة . فإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي أن نحاسب السارق أو القاتل ، لأن الأسباب الدافعة للمجرمين في اعتدائهم لا بد أن تمضي إلى نهايتها فتحدث نتائجها ولا يستطيع المجرم أن يتخلص منها . ولكن هذا بحث آخر لا يدخل فيما وجه إلينا من أسئلة فنكتفي بهذا القدر وفيه الكفاية .

(رأس البر) أحمد فؤاد الأهواني

مطبعة الرسالة :
تقدم كتاب
أحمد عرابي
الزعيم المفترى عليه
للأستاذ محمود الخفيف